

مراكز التعذيب الاستعمارية بمنطقة الحضنة الشرقية خلال ثورة التحرير الجزائرية.

Colonial torture centers in the Houdna area region during the Algerian liberation revolution.

نورالدين مقدر، جامعة محمد بوضياف-المسيلة-الجزائر

nouredine.megder@univ-msila.dz

تاريخ إرسال المقال: 07-08-2023 تاريخ قبول المقال: 19-10-2023

الملخص:

قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بإنشاء مراكز للتعذيب والاستتطاق بمنطقة الحضنة الشرقية بعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية، على غرار كل مناطق الوطن، في القرى والأرياف، الأحياء والمداشر، فما هي أهم مراكز الاعتقال والتعذيب التي أقامها الاحتلال الفرنسي بمنطقة الحضنة الشرقية؟ وما أهدافها؟ وهل حققت النتائج المرجوة منها؟ سنتناول في مقالنا هذا أهم مراكز الاعتقال والتعذيب وممارسات جيش الاحتلال الفرنسي بمنطقة الحضنة الشرقية خلال ثورة التحرير الجزائرية؛ حسب المراكز العسكرية والمدنية وأجهزة الأمن المختلفة، ومقرات منظمة اليد الحمراء؛ التي كانت متواجدة بمنطقة بركة. وقبل التطرق لذلك ضرورة التعريف بمنطقة الحضنة الشرقية.

الكلمات المفتاحية: (الاحتلال الفرنسي، الثورة الجزائرية، مراكز التعذيب، الحضنة الشرقية).

Abstract:

The French occupation authorities established centers for torture and interrogation in the Al-Houdna area Eastern after the outbreak of the Algerian liberation revolution, similar to all regions of the country in villages and rural areas, neighborhoods and villages, what are the most important detention and torture centers established by the French occupation in the eastern bosom region? And what are its goals? Did you achieve the desired results? In this article, we will discuss the most important detention and torture centers and the practices of the French occupation army in the eastern region of Al-Hadana during the Algerian liberation revolution, according to the military and civil centers and the various security services, and the headquarters of the Red Hand organization that was present in the Barika region. Before addressing this, it is necessary to introduce the eastern bosom region.

Key words: French occupation, Algerian revolution, torture centers, Al-Houdna area.

مقدمة:

بعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954 أقامت سلطات الاحتلال الفرنسي مراكزًا للتعذيب والاستتطاق في إطار استراتيجيتها للقضاء على الثورة وانتشرت هذه المراكز بكل مناطق الوطن. ومنطقة الحضنة الشرقية من المناطق التي أنشئت بها مراكز كثيرة للتعذيب في أريافها وقراها وأحيائها، فما هي أهم مراكز الاعتقال والتعذيب التي أقامها الاحتلال الفرنسي بمنطقة الحضنة الشرقية؟ وما أهدافها؟ وهل حققت النتائج المرجوة منها؟ وسنتطرق في مقالنا هذا إلى التعريف بمنطقة الحضنة الشرقية ثم نتناول تلك المراكز وممارسات الجيش الفرنسي وعصابات الكولون والمتعاونين معه بمنطقة الحضنة الشرقية على غرار مناطق الوطن، من خلال الروايات الشفوية التي استقيناها من أفواه الكثيرين ممن اعتقلوا وتعرضوا للاستتطاق والتعذيب إضافة إلى مصادر ومراجع تناولت جوانب من الموضوع.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة الحضنة الشرقية:

المطلب الأول: منطقة الحضنة الشرقية جغرافيا:

إن المتمعن في خريطة الجزائر التضاريسية يلاحظ وجود منخفض واسع وسط الجزء الشمالي للجزائر، يقع امتداده من الشرق إلى الغرب؛ بنحو 150 كلم ومن الشمال إلى الجنوب بنحو 75 كلم، سُميت هذه المنطقة من طرف العرب بالحضنة، وكانت تابعة لمقاطعة الزاب¹، تقدر مساحتها بنحو 86000 كلم².

ينتمي إقليم الحضنة جغرافيًا إلى منطقة السهول العليا المحصورة بين السلسلة الجبلية المرتبطة في الشمال بالبحر، وفي الجنوب بالصحراء أو ما يسمى بإقليم النجود، الذي يشمل كامل المنطقة الممتدة بين السلسلتين الجبليتين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، واللّتين يعود تكوينهما مع تكوين جبال البيرينييه في أوروبا².

اسم الحضنة مشتق من الاحتضان، وقد غاب هذا الاسم في الكتابات التاريخية الوسيطة، ويُرجعه الباحثون إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، وله دلالة جغرافية أكثر من

¹- Despois (J): **Le Hodna (Algérie)**, PUF, Paris, 1953, pp 6-11.

²- Savournin (J): **L'hydrologie du Hodna**, Bulletin du service de la carte Géologique de l'Algérie, imp Adolphe Jourdan, Alger, 1908, p 35.

غيرها، حيث أطلق أهالي المنطقة اسم الحضنة على السهل الواسع الذي يبدو محاطا بحزام جبلي على شكل قوس بين السلسلتين الجبليتين التلية والصحراوية اللتين تتصلان ببعضهما عبر جبال البيان وتحتضنان السهل من خلال جبال الأوراس وبلزمة شرقا إلى جبال وئوغة غربا عبر جبال بوطالب وجبال المعاضيد وجبال بوكحيل؛ التي تتصل بجبال سالات وبوسعادة جنوبا، وهي تشكل حدودا جغرافية بين المناطق المتوسطة التلية والسهول السهبية والصحراوية للحضنة والزيان.

تشمل منطقة الحضنة حاليًا من الناحية الإدارية العديد من بلديات ولاية المسيلة، وبعض بلديات ولاية باتنة.

المطلب الثاني: الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة الشرقية:

بدأت أولى طلعات الجيش الفرنسي لاحتلال منطقة الحضنة منذ بداية 1840؛ حيث أعطى الجنرال سيلاق "Silegue" الأوامر للجيش الفرنسي بالتوجه نحو المسيلة، وبدأت الحملة الأولى التي انطلقت من سطيف يوم 05 فيفري 1840؛ وأدت إلى تراجع مقاومة الأمير عبد القادر بالمنطقة؛ بقيادة القايد بن عمار، وقام الجنرال سيلاق بتعيين قائد جديد على المنطقة، كما نصب قادة على عروش كل من المطارفة وأولاد دراج¹.

أما الحملة الثانية؛ فقد انطلقت في 18 فيفري 1840، وحاول القائد بن عمار مهاجمة القوة العسكرية الفرنسية، إلا أنه فشل، وتوغلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال "دي نيقري" "DeNegrier" وكان هدف الحملة إخضاع كل المناطق التي كانت تحت سلطة المقرانيين، وإقامة مواقع متقدمة للتوسع نحو الجنوب. وسهلت الخلافات والانقسامات بين القيادات المحلية التوغل الفرنسي في منطقة الحضنة². أما عروش الحضنة الشرقية فاعترفت بسلطة فرنسا عام 1841. وبعد فترة وجيزة بدأت الكثير من الانتفاضات الشعبية بمنطقة الحضنة³.

¹ - كمال بيرم: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، ميم للنشر، الجزائر، 2013، ص35.

² - أحمدية عميراي: من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص120.

³ - كمال بيرم: المرجع السابق، ص115.

وصدر قرار في 23 مارس 1889 نص على تحديد منطقة الحضنة الشرقية تحت إدارة بلدية بركة الأهلية، وتضمّ ستّة دواوير، وطُبِّقَت رسمياً بقرار حكومي في 24 جويلية 1894 والدواوير هي: دواير بركة، دواير متعكوك، دواير الجزّار، دواير مقرة، دواير برهوم، دواير عين الكلبة¹.

المبحث الثاني: مراكز التعذيب بمنطقة الحضنة الشرقية:

المطلب الأول: تعريف مراكز التعذيب الاستعمارية:

هي تلك الأماكن والمقرات التي أنشأها الاحتلال الفرنسي بالجزائر خلال الثورة التحريرية، يتمّ فيها الاستتطاق بواسطة تسليط أساليب التعذيب، بهدف الحصول على معلومات حول نشاطات جنود ومناضلي جيش وجبهة التحرير الوطني من الأشخاص الذين توقفهم أجهزة الأمن الاستعمارية المختلفة، حيث استحدثت السلطات الفرنسية في كلّ مناطق الجزائر وتماشياً مع تطوّر الثورة مراكزً تابعة لوحدات الجيش الفرنسي العاملة بالجزائر، وأجهزة الأمن المختلفة، تقوم باعتقال الجزائريين واستتطاقهم وتعذيبهم، انتشرت تلك المراكز انتشاراً كبيراً، بحيث لم يخلُ حيّاً أو تجمعاً سكنياً من تكتة أو مركز عسكري أو إداري، وهذه المراكز بالإضافة إلى مهمتها العسكرية والإدارية أصبحت مراكزً للاعتقال والتعذيب، ومارست تلك المراكز إجرامها ضدّ الموقوفين والمعتقلين، وهم يُعدّون بمئات الآلاف، حيث تحولت كل المراكز الاستعمارية العسكرية والمدنية ومقرات أجهزة الأمن المختلفة إلى مراكز تعذيب خلال الثورة التحريرية²، ومن أهمها: مقرات إدارة الأمن الإقليمي (DST) ومقرات جهاز التدخل من أجل الوقاية (DOP)، ومراكز المصالح الإدارية المختصّة (S.A.S)، المكتب الثاني، تكتات الجيش الفرنسي، ومراكز الدرك، مراكز الشرطة، ومراكز الحركى والقومية، إضافة إلى تلك المقرات وابتداءً من عام 1957 تأسست أجهزة مختصة في الاستتطاق والتعذيب، ووُضِعَت تحت تصرفها مقرات خاصة³، وفي سرّية تامّة يصعب تحديدها، حيث وجدت مراكز غير

¹ - صالح لميش: "مسألة القيادة بالشرق الجزائري بداية الاحتلال (1830-1870) منطقة الحضنة الشرقية نموذجاً" مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 22، جوان 2011، ص 149.

² - رماضنة جعفر: أنواع وأساليب التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر إبان الثورة التحريرية - الولاية التاريخية السادسة نموذجاً - رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة باتنة، 2005/2006، ص 104.

³ - Archive National d'Outre-mer (Aix-en-Provence): 93/2Y 554 Établissements pénitentiaires d'Algérie. Maison d'arrêt et centre pénitentiaire de Constantine (1953-1962).

رسمية؛ أي غير معترف بها عسكرياً وإدارياً وهي مراكز كانت تُسيّر من طرف العصابات المدنية للكلون؛

كمنظمة اليد الحمراء¹، ووُضعت تحت تصرفها إمكانيات مادية كبيرة، وأعطيت لها صلاحيات واسعة؛ بأن تقوم بالمداومة والتفتيش والاستتطاق والتعذيب والقتل، حيث كان من يقع في قبضتهم يُعتبر مسبقاً في عداد المفقودين، ولا يظهر له أثر، وأصبح من المتعارف لدى الشعب وأعضاء جيش وجهة التحرير أن لا حياة ولا عودة لمن يقع بين أيدي هذه المنظمة، واستعملت أساليب جهنمية في التعذيب، فاقت كل التصورات منها مثلاً؛ تقوم بربط الموقوف وراء الآليات العسكرية والأحصنة وجره كيلومترات، التمثيل بجثث الموتى وإخراج أحشائهم في الأماكن العامة، كما يقوم أفرادها بأخذ الجماع البشرية، واستعمالها كنفقات لبقايا سجنائهم في مكاتبهم والقيام بذبح الموقوفين أو حرقهم بالبنزين أحياناً، وقطع آذان الموتى بعد المعارك وتعليقها في حزام الذخيرة من طرف أفراد هذه المنظمة إظهاراً للشجاعة، وطلباً للمكافأة². وبالتالي؛ فإنّ الجرائم التي قامت بها هذه المنظمة بالجزائر فاقت جرائم النازية في الحرب العالمية الثانية، وغالباً ما كانت توجد هذه المراكز في المزارع والأحواش؛ إضافة إلى المدارس³ والفيلات⁴، ومازالت تلك المقرات شاهدة على جرائمها، وبشهادة الكثير ممن عذبوا بها، إضافة إلى آلاف جثث الشهداء التي تمّ العثور عليها حول مراكز هذه المنظمة، وما تضمنه الملف السري الذي كشف من طرف المخابرات الأمريكية؛ حول جرائم الاحتلال الفرنسي خلال الثورة الجزائرية وصدر في جريدة النهار ليوم 26 ديسمبر 2010، والذي كشف عن الكثير من مراكز

¹ - منظمة اليد الحمراء: منظمة غير قانونية تنشط سرياً، مكونة من عناصر الكلون يطلق عليها المنظمة المضادة للإرهاب (Contre-Terrorisme)، انتشر نشاطها خاصة في المناطق التي يقطنها المعمرون بكثرة في المدن الكبرى والصغرى، خلقت الرعب والفرع في الأوساط الشعبية، تأسست بالدار البيضاء بالمغرب الأقصى عام 1955، ودخلت للجزائر بعد اشتداد الثورة، وهذه المنظمة التي كانت وراء تأسيس المنظمة العسكرية السرية (OAS) الاجرامية في جوان 1961م.

² - المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 01 جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، ج 01، التقرير السياسي، 14 جويلية 1987، ص 07.

³ - ANOM: 93/2Y 554 Établissements pénitentiaires d'Algérie, Maison d'arrêt et centre pénitentiaire de Constantine (1953-1962).

⁴ - رشيد زبير: جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956-1962)، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 60.

الاعتقال السري غير القانونية؛ لأنها كانت غير مقيّدة ضمن سجلات وزارة العدل الفرنسية، ولا حتى وزارتي الداخلية والدفاع الفرنسيّتين، سواء ضمن السجون أو المعتقلات، ومنها ما اكتُشف بالمصادفة من طرف مفتشي الصليب الأحمر الدولي مثل: مركز " كامب دي شان " الكائن بمنطقة الشقة بالمدينة آنذاك¹.

المطلب الثاني: نماذج من مراكز التعذيب بمنطقة الحضنة الشرقية:

سنتطرق لنماذج من مراكز التعذيب بمنطقة الحضنة الشرقية؛ حسب المراكز العسكرية والمدنية وأجهزة الأمن المختلفة، ومقرات منظمة اليد الحمراء؛ التي كانت متواجدة بالمنطقة:

أولاً- الثكنات العسكرية:

الثكنة العسكرية هي مركز للجيش، عُرف منذ القدم، مهمتها إيواء الجنود وتدريبهم وتسليحهم والتخطيط والتمشيط العسكري في المدن والقرى والجبال والداشر، وكذا الاعتقال والاستتطاق والتعذيب خلال الثورة التحريرية²، وقد انتشرت خاصة خلال الثورة التحريرية عشرات الثكنات العسكرية، ودُعِّمت عدة وعتادًا، وأنشئت بها أماكن لحجز المواطنين والاستتطاق والتعذيب نذكر منها:

1- الثكنة العسكرية ببرهوم³:

يقع هذا المركز ببرهوم، وفي زيارة ميدانية رفقة أحد الموقوفين والمعتدّين بالمركز لمعاينته، وجدناه مازال محافظًا على طابعه العمراني الاستعماري خاصة في شكله الخارجي؛ رغم تحوُّله بعد الاستقلال إلى مدرسة ابتدائية، يحتلّ هذا المركز مساحة جدّ معتبرة، تتوسطها بناية من طابقين غُطّي سقفها بالقرميد، وتعلوها بعض المراوح القديمة، ما تزال شاهدةً على الحقبة الاستعمارية؛ حيث يذكر المجاهد لخضر عطّابي: " أنّ البناية تعود لسنة 1952، بُنيت من طرف الاستعمار الفرنسي وبقيت مغلقة إلى أواخر 1955 اتخذتها سلطات الاحتلال ثكنة

¹ - جريدة النهار: " النهار تنشر مضمون ملف سري حول جرائم الاحتلال الفرنسي خلال الثورة - المخابرات الأمريكية تكشف سجون فرنسا السرية بالجزائر - " العدد 975، 26 ديسمبر 2010، ص 05.

² - عبد الكريم بالصفصاف: حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، (1954-1962)، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف، 1998، ص 155.

³ - برهوم حاليا بلدية تابعة لولاية المسيلة تبعد عن مقر الولاية ب 50 كلم شرقا.

عسكرية تحت قيادة ضباط منهم؛ نقيب بمساعدة الملائم المعروف عند أهل المنطقة " بيوكلبة". حيث احتوى هذا المركز على أسلاك شائكة للحجز ومطامير، استُعملت فيه أساليب تعذيب جهنمية منها: الاستتطاق والتعذيب بالكهرباء، شرب الماء الملوّث والممزوج بالصابون، ودقّ الأيدي بالمسامير، ووضع الموقوفين في مطامير ضيقة ومظلمة؛ دون أكل ولا شرب لمدة أيام، وفي عام 1958 أُعيد فتح جناح منه كمدرسة داخل الثكنة لأبناء الحركى تطبيقاً لمشروع قسنطينة 1958، كما أقدمت قوّات المستعمر على تحويل المسجد المجاور للمدرسة إلى مخمرة، وإيواء الجيش إلى غاية الاستقلال. وقعت عدّة عمليات فدائية بمحيط الثكنة، منها العملية الفدائية التي تمّت بالسوق الأسبوعي؛ والتي وقعت سنة 1957، قُتل خلالها دركي تابع لقوات الاحتلال، وبعد العملية قام أفراد جيش الثكنة بجمع المواطنين الذين كانوا متواجدين بالسوق، وحشروهم في إسطبلات، وتجريدتهم من ملابسهم كلّية، وهي إهانة لكرامة الإنسان، واستشهد كلّ من رزيق إبراهيم وغبالي الذواوي ورزيق المداني¹.

وفي سنة 1971 وُجد بمحيطها 55 هيكلًا عظيمًا لشهداء استشهدوا تحت التعذيب أُعيد دفن رفاتهم بمقبرة الشهداء ببرهوم². وحاليا حوّل المركز إلى مدرسة ابتدائية (ابتدائية أول نوفمبر أو المركزية)

2- الثكنة العسكرية بعين الحيمر:

تمّ إنشاء هذه الثكنة في ماي 1958 بعين الحيمر التي تبعد على بركة بنحو 18 كلم، كانت تقوم بأعمالها تحت إشراف ضباط عسكريين فبالإضافة إلى مهامها في التدريب، التمشيط والبحث عن المناضلين، كانت تقوم بمحاصرة القرى والمداشر والقيام بالحجز والاستتطاق والتعذيب، ففي يوم 18 جانفي 1959م تمّت محاصرة مشة عين الحيمر، وألقي القبض على بعض المناضلين منهم امرأة، وزُجّ بهم في الزنزانة المخصصة لذلك، وتمّ تعذيبهم بمختلف

¹ - حوار مع المجاهد عطابي لخضر بمقر قسمة المجاهدين ببليّة برهوم ولاية المسيلة بتاريخ 01 نوفمبر 2015م وهو من مواليد 23 ماي 1931م ببرهوم، التحق بالثورة عام 1956م، أُلقي عليه القبض سنة 1959 وأطلق سراحه وألقي عليه القبض سنة 1961م مرة ثانية أين تعرض للاستتطاق والتعذيب بمختلف أشكاله كالكهرباء والماء الملوّث من طرف الحركى والوضع في المظمور بمركز برهوم ثم نقل إلى بركة ثم إلى باتنة وبقي في سجن باتنة إلى وقف إطلاق النار حيث تم إطلاق سراحه في 27 مارس 1962. توفي رحمة الله عليه في فيفري 2023.

² - المصدر نفسه.

أنواع التعذيب حتى أشتهد أحد الموقوفين وهو قيري السعيد بن أحمد بتاريخ 23 فيفري 1959 تحت قساوة التعذيب¹. وقام جيش الثكنة بمحاصرة مشنة "خاباب" وهي محاذية لعين الحيمر بتاريخ 17 جويلية 1960 على الساعة الرابعة صباحاً، أسفر الحصار على نهب أموال المواطنين، وأخذ أحصنة، وسيق الكثير من المواطنين إلى مقر الثكنة؛ أين تعرضوا للاستتطاق والتعذيب والتكيل².

ثانيا - ثكنات الوحدات العسكرية الجزائرية (الحركي):

إن فكرة تجنيد الجزائريين لمحاربة إخوانهم لم يكن شيئاً جديداً؛ بل كانت مع بداية الاحتلال؛ حيث أنشئت فرق منها "الزواف" و"الصباحية"، وخلال الثورة أنشئت ثكنات عسكرية؛ كانت هذه المؤسسة العسكرية تسهر على تدريب الشباب الجزائري الذي قبل العمل في صفوف الجيش الفرنسي للوقوف ضد الثورة، وغالبا ما كانت هذه المراكز مكثفة في القرى والأرياف، حيث كان يفصل بينهم وبين الجنود الفرنسيين في الثكنة الواحدة، ويرأس المركز ضابط فرنسي برتبة ملازم أو نقيب حسب أهمية المركز³، ومن مهام تلك المراكز أيضا -بالإضافة إلى ما سبق ذكره- تجميع السكان والقيام بدوريات ليلية، واختطاف المشبوهين من بيوتهم وسجنهم، وكانت هذه المراكز تحتوي على زنانات وأماكن مخصصة للتعذيب والاستتطاق⁴. ومن أهم تلك المراكز بريكة ما يلي:

¹ - منظمة المجاهدين لولاية باتنة: التقرير الولائي لولاية باتنة لأحداث الثورة التحريرية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية) للفترة بين جانفي 1959 - 1962م المعد للملتقى الجهوي للولاية الأولى المنعقد يومي 20-21 أفريل 1987م، ص 299.

² - المصدر نفسه، ص 362.

³ - عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص 158.

⁴ - وثائق خاصة بمديرية المجاهدين لولاية المسيلة.

1- مركز المرابطين بالجزار:

أنشأته سلطات الاحتلال بقرية المرابطين سنة 1957 بالجزار، يبعد بـ 18 كلم على مدينة بركة، يضمّ هذا المركز الحركي والقومية، يعملون تحت إشراف ضباط فرنسيين¹، استعمل فيه التعذيب بشتى أنواعه، والقتل الفردي والجماعي²، قامت هذه الوحدة بجرائم فضيحة في المنطقة من تعذيب وقتل ونهب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر؛ بتاريخ 05 فيفري 1959 حاصرت المنطقة بسبب امتناع المواطنين عن دفع الضرائب المفروضة عليهم، وألقي القبض على بعض أعضاء اللجنة الخماسية منهم؛ عزيز علي ودراجي عمار وهاللي إسماعيل؛ مسؤول مشقة أولاد التومي، وبعد أن سيقوا إلى مركز الوحدة، تم تعذيبهم بشتى الوسائل، وتحت التعذيب تمّ استشهاد عزيز علي³. وفي شهر مارس 1959 حوصرت مشقة أولاد المقلّتي بالجزار؛ من أجل البحث عن المناضلين، وعندما لم يجدوا أيّ مناضل قاموا بجمع المواطنين، وتعذيب بعضهم في الدوار، وبعدها قاموا بأخذ نحو 200 رأس من الأغنام وبقرتين، وحرق منزل مسؤول اللجنة الخماسية؛ محمد شويمت⁴.

تعرض مركز المرابطين في 10 أوت 1961 لهجوم من طرف المجاهدين، وبعض الفدائيين، انتهى بقتل أحد أفراد الحراسة، وجرح بعضهم⁵.

2 - مركز السقاوية ببركة: تمّ انشاؤه سنة 1957م بوسط مدينة بركة، أغلب أفرادهم كانوا من خارج بركة.

¹ - وثائق خاصة بمنظمة المجاهدين لولاية باتنة.

² - حوار مع المجاهد قتال عبد الرحمان بمقر سكناه بمدينة بركة ولاية باتنة بتاريخ 14 مارس 2016. وهو من مواليد 31 أوت 1936م، (يقطن حاليا بمدينة بركة، وهو أمين ناحية منظمة المجاهدين ببركة)، ألتحق بالثورة في جانفي 1956م عمل فدائي ثم مسؤول الفدائيين بالقسم الثانية، الناحية الرابعة بالمنطقة الأولى الولاية الأولى.

³ - منظمة المجاهدين لولاية باتنة: التقرير الولائي لولاية باتنة لأحداث الثورة التحريرية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية).... المصدر السابق، ص 301.

⁴ - المصدر نفسه، ص 306.

⁵ - نفسه، ص 254.

وتوجد مراكز أخرى من هذا النوع في المنطقة، استُعمل فيها التعذيب على نطاق واسع، منها مركز عين طالب (الثعالب) بعزير عبد القادر؛ الذي تمّ إنشاؤه عام 1959م ويبعد بـ 25 كلم على مدينة بركة، ومن الجرائم التي قام بها أفراد هذا المركز على سبيل المثال أنّه في يوم 16 جويلية 1961؛ قام أفراد هذا المركز بمحاصرة مشتتة أولاد عبد الله، لقب عيساني؛ بحثًا عن المناضلين، وتمّ جمع المواطنين الذين أحد أفراد عائلاتهم لهم علاقة بالثورة، وتمّ تحويلهم إلى مركز عين الثعالب، حيث تمّ استنطاقهم وتعذيبهم بشتى الوسائل. ومركز الضاية ببيطام مركز تعذيب واستنطاق، وقتل بمختلف الوسائل، ورمي الجثث في النبكة، وأولاد فارح، وكربة القطع¹.

ثالثا - مراكز الفرز والعبور:

هذا النوع من المراكز كانت تسمّيها سلطات الاحتلال بمراكز الفرز والعبور (C.T.T)، وهي تابعة للسلطات العسكرية أنشأتها عام 1957، وهي نوعان:

(مراكز الفرز والعبور للقسم، ومراكز الفرز والعبور للناحية) مراكز الفرز والعبور للقسم كانت تُسير من طرف DOP أو أجهزة مشابهة لها، حيث يتمّ اعتقال المشتبه فيه في مركز القسم من أجل الاستنطاق لمدة تتراوح بين 15 يومًا إلى شهر؛ ليحدّد مصيره سواء بتحويله إلى مركز الفرز والعبور للناحية، أو يحال على المحاكم، أو يُطلق سراحه، أو يقتل في ظروف غامضة.

أمّا مراكز الفرز والعبور للناحية؛ فقد انتشر هذا النوع من مراكز الاعتقال بشكل واسع، يمارس فيها تعذيب المشتبه بهم، ثم تصنيفهم، فمنهم من يقدّم للمحاكمة، ومنهم من يرسل للمعتقلات السياسية، ومنهم من يسرّح بعد فترة التعذيب، ومنهم من يقتل بعد التعذيب²، ونذكر منها بعض المراكز بمنطقة الحضنة الشرقية:

¹ - نفسه، ص 408.

² - رشيد زبير: المرجع السابق، 109

1- مركز الفرز والعبور "العطوطة" ببريكة:

تمّ إنشاؤه في الجهة الشمالية الشرقية بمدينة بركة؛ على ضفة وادي، تمّ استتطاق وتعذيب المشتبه بهم وأستعمل ضدهم أبشع أساليب التعذيب، واستشهد الكثير تحت التعذيب من مختلف مناطق الناحية الرابعة من المنطقة الأولى الولاية الأولى¹.

تعرّض المركز لهجوم من طرف بعض المجاهدين عام 1959م، وتم الاستحواذ على بعض الأسلحة، كما تعرّض لعملية فرار عام 1960م؛ حيث فرّ منه أحد عشر موقوفًا منهم: أحمد راجي وكريم مبروك وحلوفي الحاج²، وبعد الاستقلال بُني بالمكان نزلًا خاصًا بالجيش الشعبي الوطني.

رابعاً-مراكز المكتب الثاني "Deuxième Bureau":

تنظيم إداري مدني انتشر في سنوات الثورة التحريرية عبر كامل أنحاء التراب الجزائري، ومهمته الجوسسة والبحث عن المعلومات حول الثورة، وتحديد عناصر القوّة والضعف، واستغلالها لصالح الاستعمار، ويعتمد في ذلك على التهيب والترغيب والإغراء والتقرب من المواطنين الجزائريين³. وقد أنشئت في هذه المراكز أماكن خاصة للتعذيب بشتى أنواعه، وتوجد فروع للمكتب الثاني في مقرات الوحدات العسكرية، يشرف عليها ضباط مخابرات مختصون في الاستتطاق والتعذيب، ويمارسون الإجراء في حجر خاصة بالاستتطاق والتعذيب، يتصرفون فيها كما يشاؤون⁴. ومن هذه المراكز بمنطقة الحضنة الشرقية:

¹ - وثائق خاصة بمنظمة المجاهدين لولاية باتنة.

² - حوار مع المجاهد شنافي عبد القادر المدعو الهندي بمقر سكناه ببريكة بتاريخ 24 فيفري 2013م. وهو من مواليد 1927م بعين الخضراء ولاية المسيلة، التحق بالثورة بفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، ثم عاد لأرض الوطن واستأنف نشاطه الثوري داخل الوطن، نشط في منطقة خنشلة تحت قيادة عل النمر، ثم حو إلى الناحية الرابعة القسم الثالثة والرابعة، شارك في عدة معارك بالمنطقة، ألقى عليه القبض في 22 أوت 1962م بعين الخضراء، أدخل مركز الفرز والعبور "العطوطة" ثم سجن باتنة وأطلق سراحه بعد وقف إطلاق النار.

³ - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص154.

⁴ - رشيد زبير، المرجع السابق، ص63.

1-المكتب الثاني ببريكة:

تمّ إنشاؤه سنة 1956 بوسط مدينة بريكة، استعمل فيه التعذيب بمختلف الوسائل والأساليب؛ حيث يستتق ويعدّب فيه كلّ من ألقى عليه القبض؛ كمشتبه فيه بنواحي القسمة الأولى والثانية من الناحية الرابعة من المنطقة الأولى الولاية الأولى، وشهد المركز عملية فرار مجموعة من الموقوفين منهم (حمّادي الدهيمي، صرياك المسعود، فلاح أحمد) وتمّت العملية بمساعدة أحد المجنّدين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، وهو الطيّب ماندي؛ الذي التحق بالثورة بعد عملية الفرار¹. وهو حاليا مقرّ دائرة بريكة وبعض سكّات المواطنين.

خامسا - مراكز المصالح الإدارية المختصة (S.A.S):

بعد اندلاع الثورة التحريرية أخذت سلطات الاحتلال الفرنسي تبحث عن أساليب أخرى فعّالة وناجعة تربطها بالشعب الجزائري، لسدّ الفراغ الذي ظهر بينها وبين الأهالي المسلمين في المدن والأرياف والقرى، فأنشأت المصالح الإدارية المختصة "Sections Administratives Spécialisées" والتي عُرفت عند الأهالي باسم (لاصاص)؛ وهو تنظيم إداري واجتماعي مهمته العننية القيام بدور إنساني إزاء الأهالي، في حين أنّ وظيفته الحقيقية السريّة هي البحث عن المعلومات المتعلقة بتحركات جيش التحرير الوطني ورجال الثورة والمواطنين المتعاطفين مع الثورة، وقد أعدّ لهذه المهمة جهازا خاصا يتوفّر على عناصر متخصصة في الميدان، منهم ضباط من خبراء علم النفس والاجتماع، مهمّتهم غسل الأدمغة والاستتطاق² والتعذيب الأولي؛ قبل إحالة الموقوفين على السلطات المختصة³. ويرأس هذا الجهاز ملازم أو نقيب أو رائد حسب أهمية المنطقة⁴، وتضمّ في صفوفها حركي.

وللقيام بالمهام التي أنشئت لأجلها، يخضع الضباط العاملون بها إلى نوعين من التكوين: تكوين طويل المدى يستغرق سنة يتحصّل فيه الضباط على معارف إدارية، وعلى شيء من اللغة العربية والأمازيغية، مع خرجات تطبيقية. أو تكوين قصير المدى لا تزيد مدّته

¹ - الحوار السابق مع المجاهد قتال عبد الرحمان.

² - عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص 152-153.

³ - رشيد زبير: المرجع السابق، ص 69.

⁴ - عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص 153.

عن شهر، يحضر فيه المترشح للعمل في هذه المؤسسة¹. واستطاعت هذه الهيئة أن تنشئ منظمة سرية من الجزائريين تسمى بأصحاب البطاقات البيضاء؛ حيث تُمنح لحاملها امتيازات مقابل الإدلاء بمعلومات حول تحركات المجاهدين، بحيث لم يخل أي حي أو تجمع سكاني من مركز (لاصاص) ومن أهم تلك المراكز بمنطقة الحضنة الشرقية مايلي:

1- مركز "لاصاص" (S.A.S) بأمدوكال:

تم إنشاؤه في ماي 1956، يتكوّن هذا المركز من مدنيين وعسكريين يعملون تحت إشراف ضباط، يجمعون المعلومات حول تحركات ونشاط مناضلي وجنود جبهة وجيش التحرير الوطني، يقومون بإيقاف كلّ من له صلة أو متعاطف مع الثورة، ويتم استنطاقه وتعذيبه. وقُتل ضابط من ضباط لصاص بأمدوكال يسمى "دانييل موران كلود" في 08 جانفي 1962²، وحوّل المركز بعد الاستقلال إلى مدرسة ابتدائية.

2- مركز "لاصاص" (S.A.S) بعين الخضراء:

تم إنشاؤه سنة 1959، يقع -حاليًا- جنوب بلدية عين الخضراء، وهو يبعد عنها بحوالي 05 كم، ومن خلال الزيارة التي قادتنا إلى هذا المركز رفقة المجاهد ضيف محمد بن رجال؛ المدعو "بن زرقة"³؛ صبيحة يوم السبت 26 جانفي 2013، نكون قد وقفنا على بعض المعالم لهذا المركز؛ الذي قامت مؤسسة أشغال الطرقات بشق طريق في وسطه، وهي الطريق المؤدية إلى مسيف عبر شط الحضنة؛ حيث قسّمته إلى شطرين: شطر شرقي، وشرط غربي. والمعالم التي بقيت واضحة تقع كلّها في الشطر الغربي.

¹ - محمد شمبازي: المحتشدات بولاية سطيف "محتشد بازر سكرة رقم 5" نموذجاً 1954 - 1962، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2027، ص 35.

² - منظمة المجاهدين لولاية باتنة: التقرير الولائي لولاية باتنة لأحداث الثورة التحريرية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية)...، المصدر السابق، ص 293.

³ - حوار مع المجاهد ضيف محمد بتاريخ 26 جانفي 2013 وهو من مواليد 10 أفريل 1931، بعين الخضراء، التحق بالثورة سنة 1956م، عمل كجندي جيش التحرير بالقسم 74 المنطقة الرابعة الناحية الخامسة بالولاية السادسة.

كما كانت توجد مراكز "لاصاص" في الكثير من القرى التابعة لبلدية بركة المختلطة كبرهوم ومقرة.

سادسا - مراكز تعذيب أخرى:

كما تحولت مزارع وضيعات تابعة للمعمرين لمراكز تعذيب وهي مقرّات خاصّة بعيدة عن الأنظار في سرّية تامّة، ويصعب تحديدها، تسير من طرف العصابات المدنية للكلون، ومن أهمّ تلك المراكز؛

1- مراكز اليد الحمراء:

هي تنظيمات مدنية سرّية غير قانونية، تشكّلت بعد 1957 تتكوّن من المعمرين والحركي، يطلق عليها المنظمة المضادّة للإرهاب (Contre-Terrorisme)، انتشر نشاطها خاصّة في المناطق التي يقطنها المعمرين بكثرة في المدن الكبرى والصغرى، خلقت الرعب والفرع في الأوساط الشعبية، حيث تقوم بأعمال المباغنة واختطاف الأشخاص من بيوتهم، وتسلب عليهم أبشع أنواع التعذيب، والقيام بالقتل الجماعي والفردى، وأصبح من المتعارف عليه لدى الشعب الجزائري آنذاك أن لا حياة ولا عودة لمن وقع بين أيدي هذه المنظمة، وقد عثر بعد الاستقلال على مئات الشهداء حول مراكزها وعلامات الوحشية ظاهرة على جثثهم، كأثر الزجاج وقضبان الحديد والسلاسل والمسامير لا تزال عالقة بجثثهم، ومن جرائم هذه المنظمة أنّها كانت تقوم بقطع بعض أعضاء البشر، تكبيل الموقوف بالسلاسل، وعدم إعطائه الأكل والشرب حتى الموت، استعمال الكلاب المدربة لأكل لحوم البشر، التمثيل بجثث الشهداء وإخراج أحشائهم¹، ومن مراكزها بمنطقة الحضنة الشرقية:

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 01 جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، ج 01، التقرير السياسي، المصدر السابق، ص 165.

أ- مركز اليد الحمراء بجنان القبائلي ببريكة:

تم إنشاؤه سنة 1959 بحوش يدعى جنان القبائلي ببريكة -حاليا أين توجد ثانوية معجوج العمري- أفراد من المعمّرين¹، من بينهم طبيب معمر يعمل في النهار بصفة عادية، وفي الليل يقوم بدور آخر، يتمثل في اختطاف وتعذيب وقتل الأبرياء؛ مستعملا جواسيس من الحركي، وتمّ قتله عن طريق عملية فدائية بتاريخ 26 أكتوبر 1961 قام بها المجاهد يحيوي الذوادي، وجندي جيش التحرير عبد المجيد سوايعي والفدائي سلاوي العياشي بمساعدة الممرّض العامل لدى الطبيب، وهو سلالّي محمد المدعو عياش². وحسب شهادات الكثير ممّن عايشوا المرحلة أنّ هذه المنظمة قامت بجرائم فظيعة في حق المشتبه فيهم من سكان المنطقة؛ حيث قامت بأبشع أنواع التعذيب والقتل الفردي والجماعي.

خاتمة:

نستخلص مما سبق ان منطقة الحضنة الشرقية وهي الناحية الرابعة التي كانت تابعة للولاية الأولى "الأوراس النمامشة" من المنطقة الأولى بعد مؤتمر الصومام، أنشئت بها مراكز للتعذيب والاستتطاق في مختلف أريافها وقراها واحيائها، كانت تابعة لوحدات الجيش الفرنسي العاملة بالجزائر، وأجهزة الأمن المختلفة التي تقوم باعتقال الجزائريين واستتطاقهم وتعذيبهم، وهو ما استقيناه من أفواه المعتقلين من خلال الروايات الشفوية بعد مقاربتها واخضاعها للمقارنة فيما بينها وتعزيزها بوثائق أرشيفية ومصادر أخرى.

هذه المراكز بالإضافة إلى مهمتها العسكرية والإدارية أصبحت مراكزًا للاعتقال والتعذيب خلال الثورة التحريرية، ومارست تلك المراكز إعدامها ضدّ الموقوفين والمعتقلين في المنطقة وكامل مناطق الوطن وهم يُعدّون بعشرات الآلاف، حيث تحولت كل المراكز الاستعمارية العسكرية والمدنية ومقرات أجهزة الأمن المختلفة ومزارع وضيعات المعمّرين إلى مراكز تعذيب واستتطاق خلال الثورة التحريرية. وتوجد الكثير من تلك المقرات بمنطقة الحضنة

¹ - الحوار السابق مع المجاهد قتال عبد الرحمان.

² - منظمة المجاهدين لولاية باتنة: التقرير الولائي لولاية باتنة لأحداث الثورة التحريرية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية)....، المصدر السابق، ص 290.

الشرقية ببريكا ومدوكال، الجزائر، مقرة، برهوم وغيرها، والتي لا تزال شاهدة على جرائم الاستعمار الفرنسي بالجزائر خلال الثورة التحريرية إلى يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الأرشيف:

¹ - Archive National d'Outre-mer (Aix-en- Provence.): 93/2Y 554 Établissements pénitentiaires d'Algérie. Maison d'arrêt et centre pénitentiaire de Constantine (1953-1962).

2- وثائق أرشيفية خاصة بمديرية المجاهدين لولاية المسيلة.

3- وثائق أرشيفية خاصة بمنظمة المجاهدين لولاية باتنة.

ثانيا: روايات شفوية لبعض المعتقلين خلال الثورة التحرير الجزائرية بمنطقة الحضنة الشرقية.

ثالثا: الكتب:

1- بيم كمال: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بمنطقة الحضنة، ميم للنشر، الجزائر، 2013.

2- بوالصفاف عبد الكريم: حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، (1954-1962)، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف، 1998.

3- عميروحي أميدة: من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، عين مليلة، 2004.

4- زبير رشيد: جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956-1962)، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

5- Despois (J): **Le Hodna (Algérie)**, PUF, Paris, 1953.

6- Savournin (J): **L'hydrologie du Hodna**, Bulletin du service de la carte Géologique de l'Algérie, imp Adolphe Jourdan, Alger, 1908.

رابعاً: الرسائل والمذكرات

1- رماضنة جعفر: أنواع وأساليب التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر إبان الثورة التحريرية- الولاية التاريخية السادسة نموذجاً- رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة باتنة، 2006/2005.

2- شمبازي محمد: المحتشدات بولاية سطيف "محتشد بازر سكرة رقم 5" نموذجاً 1954-1962، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاري الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2027.

خامسا: أشغال الملتقيات

- 1- المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 01 جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، ج01، التقرير السياسي، 14 جويلية 1987.
- 2- منظمة المجاهدين لولاية باتنة: التقرير الولائي لولاية باتنة لأحداث الثورة التحريرية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية) للفترة بين جانفي 1959 - 1962م المعد للملتقى الجهوي للولاية الأولى المنعقد يومي 20 - 21 أفريل 1987م.

سادسا: المقالات

- 1- لميش صالح: "مسألة القيادة بالشرق الجزائري بداية الاحتلال (1830-1870) منطقة الحضنة الشرقية نموذجا "مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 22، جوان 2011.
- 2- جريدة النهار: " النهار تنشر مضمون ملف سري حول جرائم الاحتلال الفرنسي خلال الثورة - المخابرات الأمريكية تكشف سجون فرنسا السرية بالجزائر - " العدد 975، 26 ديسمبر 2010.